مع د. ماهر أبو الحمص

في مسرحيته

" مدينة لا تعرف الحدود "

بعد مسرحياته الثلاث "نور السلطان" ، "قرية كان اسمها زيتونة" ، "ثورة السنابل" ، وبعد غياب قارب ثلاث أو الثلاث من السنوات. يعود الدكتور ماهر أبو الحمص إلى جمهوره العريض في الأردن بعمل جديد متجدد .

لعل معظم الناس خارج الأردن لم يسمعوا بمسرحيات الدكتور ماهر أبو الحمص . لكننا نأمل أن يتم تجاوز هذه العقدة في هذه المسرحية ، بحيث يتم عرضها في أكثر من بلد عربي وأوروبي وكذلك في الولايات المتحدة ، لأن المسرح الجاد الذي يطرحه أبو الحمص يستحق أن يتجاوز كل الحدود ، ليصبح أمثولة تحتذى في العالم الإسلامي.

ماهر أبو الحمص طبيب شاب ولكنه مبدع أصيل . قدم مسرحيته الأولى "نور السلطان" وهو ما يزال على مقاعد الدراسة في الجامعة الأردنية ، فكانت ظاهرة فريدة على مستوى المسرح الإسلامي ، وكذلك على مستوى المسرح الأردني ، إذ لم تشهد الساحة الأردنية مسرحية تحظى بمثل هذا الإقبال الجماهيري . وكانت الخطوة الأولى .

لقد استطاع أبو الحمص بجدارة كسر الغياب الإسلامي عن ساحة المسرح ، فاقتحمه بأعمال جادة ، جعلت عشرات الألوف يحبون مسرحه ويتابعونه بلا ملل.

* نشر المقال في مجلة فلسطين المسلمة - عدد أكتوبر ١٩٩١.

لقد كان أبو الحمص ومعه ذلك الفريق الجميل من المبدعين (محمود أبو غنيمة، هاشم الكفاوين، وآخرون) عند حسن ظن ذلك الجمهور الوفي ، فرسموا بنبضهم على جدران المسرح الأردني بشكل خاص ، والمسرح الإسلامي بشكل عام أجمل اللوحات .

مسرحية ماهر أبو الحمص الجديدة تأتي في وقتها ، طلقة تمزق أحشاء اليأس ، وصرخة تملأ الفضاء بالأمل . تأتي لحظة الإعداد لمؤتمر الهزيمة. مؤتمر الاجهاز على طراوة الحلم. تأتي وهم يتجمعون الآن من حول نيران الثأر لكي يطفئوها. تأتي لكي تصرخ في وجوههم: "**خائن من يطفئ نار ثأره بيده**" .. صرخة ندية كنسيم الفجر ، لأنها تأتي من عاشق يقول لأهله "إنكم تخلطون بين أذىً تقدرون عليه لو أردتم وبين عذاب لا يعرف أحد مداه" . ولكنها غاضبة كمئذنة تدعو الناس إلى الجهاد ، لأنها تخرج من فؤاد يأبى الركوع مادامت تسكنه سورة الإسراء التي يريدون إحراقها.

مسرحية أبو الحمص الجديدة مرافعة رائعة عن حق الأجيال في أن تحتفظ بالأمل في استعادة أرضها .. مرافعة عن حق الأجيال في أن تواصل قراءة سورة الإسراء دون أن تطولها يد الرقيب المكبلة بمعاهدة السقوط .. حق الأجيال

في أن ترسم شكل مستقبلها بعيداً عن صكوك الموت والتطبيع .

إنها مرافعة عن جحافل الشهداء الذين روّوا بدمائهم هذا التراب .. مرافعة عن حق دمائهم في أن تواصل إرواء زهرة النصر والأمل كي لا تذبل ...

" أعرف أنهم قد ماتوا .. لكنهم ذهبوا يصنعون النصر ...

أعرف أنهم ماتوا .. لكنهم ذهبوا يكسرون القيد ...

من العنوان وحده "مدينة لا تعرف الحدود" يقول ماهر أبو الحمص الكثير ... إنها القدس. والقدس لم ولن تعرف الحدود . لا ولن تستسلم للحصار . لأنها لم تكن يوماً وحيدة وإن خذلها الزعماء ، فصدى جراحاتها يتجاوب في عمان والرباط والقيروان ودمشق ونواكشوط. ورائحة الدم من خاصرتها تفوح في بخارى وسمرقند . هكذا كانت القدس ولّما تزل مفتاح النصر والحياة لهذه الأمة .. فمن أجلها جاء عمر ماشياً من صحراء الجزيرة ، وكرمى لعيونها دكّ صلاح الدين حصون الصليبيين حصناً حصناً ....

في "مدينة لا تعرف الحدود" يقول ماهر أبو الحمص

الكثير مما لا نستطيع الوقوف عليه في هذه العجالة . يقول: إن "**هذا الزمن لا يصنعه فارس واحد**" . وأن النصر لا يأتي هدية من السماء إلى القاعدين . . يقول هذا من خلال معالجة رائعة لأزمة الخليج وقصة الصواريخ العراقية على تل أبيب . . فالدكتور برهان كان يرى في حلمه أن النجمة الخبيثة ذات الرؤوس الستة ، تلك التي تسرق الضوء وتنفث السموم في الفضاء ، ستقتل بعد أن يصيبها سهم يدفعه أربعون شهاباً . . فيأتي تسعة وثلاثون ولكن الشهاب الأربعين لا يأتي فيضيع الحلم ويصرخ الدكتور برهان "**أنا السبب ، هم . . أنتم . . كلنا السبب . . شهاب واحد كنت أستطيع صنعه لو أردت . . لكنني أضعت عمري على باب السفارة (الأمريكية) . . وقفت أنتظر ولم أفعل شيئاً**" ، إنه الزمن الجديد لا يصنعه فارس واحد . . إنها مسؤولية الجميع .

في "مدينة لا تعرف الحدود" يرسم أبو الحمص شخوصه في القدس . . هناك حيث أبو أيمن الذي ما زال يحمل العلم ويفديه بدمه كما أوصاه عبد القادر الحسيني وأبو جاسر وأبو إبراهيم وغيرهم من الذين تعبوا من النضال وركنوا إلى اليأس . وأبو عطا وأبو إبراهيم وغيرهم من الذين تعبوا من

النضـــال وركنوا إلى اليـأس ، وأبو عطا وأبو كـامل اللذان يسيران عكس أحلام شعبهمـا . . وهناك قوافل الشهداء الذين مضوا . . الحسيني ، أبو صبيح ، أبو سنينة، أمينة ، أم أيمن . . وهناك الرجال الجـدد . حاملو الراية الذين مـا زالوا يكتبون النصر في أزقة القدس وغزة ونابلس . . أيمن ، ضياء، أحمـد، . . هؤلاء الذين لم يخونوا الراية وقرّروا أن يحملوا بندقية الحسيني ليفتتحوا نشيد النصر .

كل هذه الشـخوص يحـركهـا أبو الحـمص على خشبـة المسرح ويتركها تقول نبضها الحقيقي دون تزييف أو افتعال من خلال إيقاعات الانتفاضة ومفرداتها . . لتعلن في النهاية أن الصغار لن ينسوا وإن مات الكبار . فها هو ضياء رمز الجيل الجديد يحمل العلم في يد وبندقية الحسيني في اليد الأخرى ويواصل المسيرة . . قد يصل إلى الهدف وقد لا يصل ، لكنه لن ينكس الراية ، بل سيحضنها ضياء جديد ، ما زال يتشكل في أرحام أمهات يعرفن كيف يربين الأبطال وينذرنهم لعيون الأقصى .

هذه ليست قراءة نقدية لمسرحية أبو الحمص الجديدة ولكنها تداعيات قراءة أولية للنص مكتوباً.